المذهب الكلامي والبعد الحجاجي

"قراءة بلاغية"

أ .م .د سمير يوسف عليوه

قسم اللغة العربية

كلية الآداب ج حلوان

تقديم

نال البعد الحجاجي من اهتمام البلاغيين المحدثين الكثير ولا سيما في جانبه المتعلق بالتأثير والإقناع إذ جنحت بهم الدراسات البلاغية الحديثة في الحجاج أو الخطاب إلى الإقناع والاستمالة لإحداث تأثير في المتلقي أو السامع للوصول لهدف ما بوسائل متعددة، ويعجز الباحث عن حصر وسائل التأثير في المتلقي واستمالته ، ومن ثم ذهب بعض الباحثين إلى"أن اللغة العربية تعد بذاتها ذات بعد حجاجي في جميع مستوياتها ،لأن المتكلم "الملقي" يستخدم الوحدات اللسانية حسب ما يريد إبلاغه من أفكار بالقدر المقصود ويبني هذه الوحدات وفقا لأغراض التواصل المختلفة"

وإذا كانت اللغة العربية وسيلة التواصل فإن البعد الحجاجي شكل من أشكال التواصل يسعى به الملقي إلى التأثير في المتلقي بجذب انتباهه واهتمامه تجاه مراده وهدفه ثم إقناعه و إفحامه وغلبته ؛ومن ثم يكون البعد الحجاجي "نص يسعى إلى الإقناع بتقديم البراهين التي تسمح لفكر ما أن يعلو على فكر أو غلبة موقف على موقف أو رأي على آخر " ، وبذلك يكون البعد الحجاجي مثله كمثل أي عملية تواصلية لا تتم ولا تتحدد و لا تخرج عن السياق أو المقام وهو ما بينه التراث البلاغي بقوله "لكل مقام مقال"أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال"،

ويقوم على أربعة عمد أو أسس كما يرى حسان الباهي في كتابه الحوار ومنهجية التفكير النقدي هي: الملفوظ والمتكلم والمخاطب والمقام " .

وقد اقتضت الدراسة أن تأتي خطة البحث من تقديم ومحورين:

المحور الأول : عنوانه بين البعد الحجاجي في البلاغة الحديثة والمذهب الكلامي في بلاغة التراث.

والمحور الثاني : الجانب التطبيقي.

أما المنهج فقد انتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي .

ثم الخاتمة نجمل فيها ما توصل البحث اليه من نتائج وتوصيات.

المحور الأول : بين المذهب الحجاجي والمذهب الكلامي.

في نظرية تراثية قديمة متضمنة في أوائل كتب التأليف والتنظير وهي نظرية البيان عند الجاحظ وتابعيه ونظرية حديثة نتجت عن المناهج الحديثة ولا سيما اللسانية منها وهي نظرية البرهان لبيرلمان وتابعيه وفي الخطاب الحجاجي الإقناعي للنظريتين --- أمعن فكرك وبصرك في مفهوم الحجاج- تجده "مصطلحا ومفهوما ومكونات "ليس وليدا أو نتاجا للمناهج الحديثة بل جذوره تراثية أصيلة ، وهو لون من ألوان الخطاب والحوارتم تحديده من قبل مفهوما ونوعا ومكونات وأهمية، ولا يكاد الباحث يلمس إلا فروقا طفيفة بين النظريتين لا تؤدي لتضاد أو تناقض بل ،تيسر الربط بينهما قديما "تراثيا" وحديثا ،وتفتح قنوات كثيرة للتبادل بينهما والإثراء الفكري.

ولقد كان للبعد الحجاجي حضوره في التراث العربي معتمدا على البرهان والحجة والاقناع ، بل لقد وعي البلاغيون القدماء وفهموا وأدركوا تعدد استعمال الظواهر اللغوية إذ فرقوا بين الاستعمال العادي الذي يخلو من كل سمات أسلوبية والمألوف للغة وبين استعمال آخر للغة مطبوع بسمات فنية خاصة"

وإذا كانت البلاغة لا تنحصر في ثنائية التواصل والجمال بل تتشعب أبعادها إذ رأى البلاغيون القدماء كالجاحظ الذي استعمل المصطلح بمعان عدة وربطها الدكتور محمد العمري في وظائف ثلاثة أساسية هي :

١-الوظيفة الاخبارية :وتمثل المعرفة الاخبارية أو التعليمية أي إظهار الأمر على وجه الاخبار بقصد الإفهام.

٢- الوظيفة التأثيرية :وتكون بتقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب .

٣- الوظيفة الحجاجية :وتمثل إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار

وربط الدكتور المسدي مصطلح البلاغة عند الجاحظ بستة محاور هي :

١- استعمال لساني عام .ومفاده مجرد الحدث اللغوي.

٢- فيزيولوجي فكري :ويتمثل في الانسجام الزمني بين الدوال والمدلولات.

٣- استعمال لساني :مفاده أو هدفه الامتاع.

٤- استعمال لغوي نفسي هدفه التأثير.

٥- استعمال أسلوبي هدفه الخلق الفني.

٦- استعمال لا لساني ومفاده تنويع الأداء ووسائل التواصل والتوصيل.

إذن يصبح بذلك البعد الحجاجي أحد هذه الدلالات لمصطلح البلاغة في التراث البلاغي ؛ بل هو الاستعمال المنطقي الهادف إلى الاقناع بالحجة والبرهان فيقول دكتور محمد العمري " الخطاب التداولي الإقناعب أحد وجهي البلاغة ووجها الثاني التخييل ،فالبلاغة تضم في جانب منها كل الخطابات التخييلية من شعر وسرد وغيرهما ،كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي ،فبلاغة الخطاب الاقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخييلي وتتداخل معها" .

ومن خلال القراءة البلاغية للتراث يبرز للباحث أن البعد الحجاجي ليس بجديد في البلاغة الحجاجية الحديثة ، بل ظهر في ثنايا تعريفات البلاغيين القدماء للبلاغة إذ أشاروا إلى جانب الحجة والاقناع والغلبة والافحام فقد جعل ابن المقفع البعد الحجاجي وجها من أوجه البلاغة وحالة من حالاتها فقد ما البلاغة ؟قال:البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداءا ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل " ، وتلمس تركيزه في حديثه عن البلاغة على جانب الحجة والاقناع الذي يوازي حديثا جانب الفن والتخييل .

وكذلك يجعل خالد بن صفوان من الحجة ركنا في تعريف البلاغة إذ قال مجيبا السؤال نفسه ما البلاغة؟

فقال البلاغة: إصابة المعنى والقصد إلى الحجة فالحجة هنا وسيلة من وسائل البعد الحجاجي وآلية من آلياته"

ومن ثم يمكن القول بحجاجية البلاغة بعلومها الثلاثة"المعاني والبيان والبديع" فقول البلاغيين مراعاة مقتضى الحال أو لكل مقام مقال أو قولهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو نفسه البعد الحجاجي"

المذهب الكلامي

يقارب البحث في مبحثه هذا مصطلحا بلاغيا من منظور أدبي شمولي يرى أن للمذهب الكلامي جانبين أولهما عملية في اللغة قائمة على الوعي الدقيق بالعلاقات الجدلية بين أجزاء الكلام وثانيهما يمثل دقة الاحتجاج والتعليل والتمثيل والبرهان ينتج عنهما "الجانبين"مبالغات ومفارقات مدهشة تظهر تجلياتها في الأمثلة القرآنية التي يطرحها البحث.

وإذا كانت كتب التراث البلاغية القديمة قد حصرت مفهوم المذهب الكلامي في خطاب الاحتجاج والتعليل والتمثيل وكذلك كتب البلاغة الحديثة حصرته في الحجاج أو البرهان فإن البحث يتناوله من تصور جديد عماده الشمول والتوسع في المدلول ليشمل العملية الجدلية "أو الاحتجاجية" في الاستخدام اللغوي القائم على الوعي الكامل بعلاقات التجانس والتآلف والتناسب والتضاد والتناظر بين أجزاء الكلام في المثل القرآني ،وكذلك يشمل القول الحجاجي القائم على الاستدلال والبرهان والتعليل المؤثر والمقنع فينتج عن ذلك للمتلقي مبالغات مدهشة تجنح به إلى التأثر والاقتناع .

وليس من شك في أن خطاب الحجاج أو الاحتجاج في الشعر من عمل الوهم والخيال الخصب ،بل من العمل الذهني الجدلي الحاد ،إذ يسترسل الشاعر في تغزله فيستظرف في أسلوب بيانه، ويقترب منه شيئا فشيئا ويدنو إليه على طريقة أهل الاستدل في خط حثيثة ،بتمهيد مقدمات منتهية إلى النتيجة المتوخاه فيأتي بشواهد ودلائل ويقيس كما يقيس الفقهيه المتكلف، ويبرهن على شاكلة الحكيم المتفلسف وهكذا يقترب من مقصوده مليا وهو فن من أساليب البيان ،دقيق مسه رقيق رمسه من يتوفق لمثله في قدرة الاستحواذ على مشاعر المخاطب وصدق القائل "إن من البيان لسحرا"

وفيه أنشد ابن المعتز قائلا:

أسرفت في الكتمان وذاك مني دهاني.

كتمت حبك حتى كتمته كتماني.

فلم يكن لي بد من ذكره بلساني

وهذه الملاحة نفسها والظرف بعينه كما يقول ابن رشيق .

فلو انطبق ذلك على الشعر فلا ينطبق هذا على الحجاج في الأمثلة القرآنية لأنه لا يأتي تأثيره على المتلقي من طريق الاعجاب بالصورة بقدر الاحساس بطرافة وقوة الاستدلال والتمثيل والتعليل ،لأنه الخطاب يدفع المتلقي إلى إعمال العقل والفكر وإطالة التأمل والتدبر، ولهذا أكد عبد القاهر قيمة القراءة القائمة على الجهد ،وتجشم العناء للوصول للفهم الصحيح الممتع ويبين أن كل شئ نيل بعد اشتياق إليه ومعاناه كان نيله أجل وبالمزية أولى وكان موقعه من النفس أجل وألطف" .

وأدلى المحدثون من النقاد بدلوهم في هذا الموضوع إذ تنبه الدكتور محمد مندور – وإن ضم صوته الى ابن المعتز في وصف المذهب الكلامي بالتكلف إلى كون هذا الفن يمثل جانباً من الصراع بين القديم والحديث في القرن الثالث الهجري حيث كرر الإشارة إلى أن هذا المذهب يمثل مذهب أبي تمام وعدّه (خاصية تلقي ضوءاً قوياً على مذهب أبي تمام" وزعم أنه "مذهب صياغة، وأنه لم يكد يخرج على المعاني، والأغراض المعروفة المتوارثة ، إلا أنه يبدو متناقضاً في الحديث عن مفهوم المذهب الكلامي يقول(والمذهب الكلامي نوع من الجدل العقلي ، والقدرة على توليد المعاني ، والدقة في المقارنات ثم يقول : (وهو فيما نعتقد ليس من جوهر الشعر بل ولا من جوهر التفكير المنتج -

إذن في تصوري البلاغي التراثي والحديث معا أن الخطاب الاستدلالي أو البرهاني القائم على التعليل والتمثيل يقع ضمن الدائرة التأثيرة التأملية التي تتحدى ذهن المتلقي وتدعه دعا إلى التأمل والفكر .

هذا وقد عد البلاغيون القدماء المذهب الكلامي فن من فنون البديع نسبه ابن المعتز للجاحظ الذي نفى وجوده في القرآن وإن وجد فهو نوع من التكلف تعالى الله في كلامه أن يكون تكلفا ، كيف والله قال :"ما فرطنا في الكتاب من شئ " ويقول سبحانه "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" ويقول تعالى: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه"

وردد أبو هلال العسكري كلام ابن المعتز وإن ذكر بابا قريبا من هذا المفهوم تحت عنوان" في الاستشهاد والاحتجاج"وقال أنه كثير في كلام البلاغيين القدماء منهم والمحدثين ،وبين أنه أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري الاستشهاد به على الأول والحجة على صحته

ويؤكد ابن أبي الاصبع وجوده بالقرآن رادا على ابن المعتز ويعرفه بقوله:"احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام

ومنه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة " وذكره في موضع آخر من الكتاب باسم"الإلجاء" وقال:وهو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهره موقوفة على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى رده بشئ يلجئه إلى اعتراف بصحته .

وعرفه كل من الخطيب القزويني ومحمد الجرجاني وابن الأثير وغيرهم بتعريفات قريبة من التعريف السابق وكلها تعريفات تركز على إتيان المتكلم "الملقي"بحجة قاطعة أو دامغة وبرهان ساطع تبهت الخصم " كما حدث مع نبي الله إبراهيم – عليه السلام وخصمه في قوله تعالى"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

مما سبق يتضح أن المذهب الكلامي والبعد الحجاجي يتمثلان في إتيان المتكلم "الملقي"بالحجة العقلية القاطعة والبرهان الصادق البين لإثبات صحة دعواه لإبطال دعوى خصمه بطريقة أهل الكلام ويلائمه الأسلوب وقوة التأثير مع مطابقة البراهين والحجج للواقع؛ ومن ثم تكمن بلاغة المذهب الكلامي البديعي والبعد الحجاجي في جمال الادعاء المتصور والمدعوم بالدليل والبرهان والحجة ،مع إحداث الانفعالات النفسية القوية الواضحة والمؤثرة في المتلقي وهذا سيظهر في الجانب التطبيقي في الأمثال القرآنية التي سيتناولها البحث والتي جاءت دلائلها لامعة وبراهينها ساطعة في غير تعقيد كما يفعا ارباب الكلام ،بل على طريقة العقلاء الحكماء في متعارفهم نفي قوة منطق وحجة وبرهان وأناقة بيان ،إذا أخذ القرآن من القضايا البديهية المسلم بها برهانا على المعنى المراد توصيله للمتلقي ومن المشاهد المحسوسة دليلا على حقائق راهنة لا محيص عنها ،كل ذلك بطريقة واضحة ومحجة لائحة يستذيقها الطبع ويستلذها الذوق وتسلم لها وبها العقول قال تعالى: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" .

فمثلا قوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * .

فهذه محاجة كلامية لطيفة ورد جميل وبرهان ودليل ساطع كيف أقسموا بالله لإنكار البعث "وهم بالله كافرون" فرد عليهم أن الذي تقسمون به فإنه يناقضكم صريحا"ثم قدم الدليل والبرهان على البعث ببيان سببه الموجب وبإمكانه بعظيم قدرته ولابن السيد في الآية بيان لطيف ذكره السيوطي قال: وتقريرها أن اختلاف الناس في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه ،وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ،والحق

في نفسه واحد فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة ،وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلا الوقوف وقوفا يوجب الائتلاف ويرف عنا الاختلاف إذ كان الاختلاف مركوزا في فطرتنا ،وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى صورة غيرها صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة ،فيها يرتفع الخلاف والعناد وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير فقال تعالى"ونزعنا ما في صدورهم من غل" أي حقد فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون"ثبوت" البعث الذي ينكره المنكرون" .

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لهذا الفن البديعي . بالبراهين القاطعة التي تحمل في طياتها المذهب الكلامي قوله تعالى:" وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال: من يحيي العظام وهي رميم؟ قل: يحييها الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم" .وقصة الآية: أن الأخنس بن شريق، أو عتبة بن الربيعة، جاء ببعض العظام البالية من المقابر، وطحنها بي يديه، وقال للرسول الأعظم-صلى الله عليه وآله-: من يحيي العظام وهي رميم؟ والمقصود أنه أنكر دعوى الإعادة، فكانت الإجابة برهاناً دامغاً، حيث أن دعوى البدء مسلّم بها، وإنّ الإعادة أهون من البدء، فدعوى الإعادة صحيحة مستلزمة لأن الخلق من موجود أهون من الخلق من عدم.ومثله قوله تعالى:(يا أيها الناس! إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب) ، ونحو قوله:(أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاّق العليم) .

وكذلك في كلام الرسول – ﷺ - :«أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلّكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب..».تضمن هذا القول الشريف أعظم البراهين والحجج؛ فقوله:«وإن أباكم واحد» حجة على أن ربكم واحد، حيث أنكم تسلمون بأنكم جميعاً لأب واحد، وهو آدم.فلا بدّ أن تسلموا نه لا يمكن أن يكوون الخالق لآدم أكثر من واحد، لأن ذلك من البديهيات. ثم إن هذه حجة ساطعة على دعوى عدم أفضلية جنس على جنس إلا بالتقوى، حيث أنكم تسلمون بأن كل الناس لأب واحد، إذاً فلا قربى لأحد منكم عند الخالق بجنس أو عنصر، وإنما القربى لديه تكون بقدر طاعته، سبحانه وتعالى.

وإذا كان هذا الفن موجود بالنص القرآني لأنه عربي – نزل ليتحدى به فإن القرآن قد امتاز في مذهبه الكلامي أو بعده الحجاجي بالجمع بين أسلوبين مختلفين في شرائطهما هما الخطابة وتتمثل في مقدمات معتقدا بها لأمر سماوي أو لمزيد عقل ودين تتقبلها العامة وتسلم بها أو لها وهي اقناع للعامة بما يتسالمون به من مقبولات مظنونات ،وبرهان تركب من مقدمات يقينية فطرية كانت أو بديهية تكون إفاهما للخاصة بما يتصادقون عليه من يقينات.

فمثلا قوله تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) .

فيه تقرير لحجة أنه لو فرض للعالم آله فوق الواحد لكانوا مختلفين ذاتا ،متباينين حقيقة .وتباين حقائقهم يقضي بتباين تدبيرهم فتتفاسد التدابير وتفسد السماء والأرض .

ارجع بصر الفكر البلاغي في الآية كرة ثانية ينقلب إليك بأن هذا المذهب الكلامي أو الحجاجي هو طريقة عقلية بجانب استدلال برهاني دقيق قوامه اليقين وليس مجرد القياس ،فالآية دلت العقول على أن تعدد الآلهة المستجمعة لصفات الألوهية الكاملة .

كذلك قوله تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماء والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين " .

المذهب الكلامي في هذه الآيات هو عرضها لأدلة التوحيد، من خلال رسم الحجج العقلية التي أراد بها إبراهيم أن يوصل الناس إلى أصل التوحيد من خلال الاستدلال العقلي القطعي. فقد ابتدأ السياق القرآني بـ " وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماء والأرض " للإشارة الإجمالية لقدرة الله المطلقة على الوجود، كل الوجود، ثم فصل .بالإشارة إلى إن أفول الشمس والكواكب دليل على عدم ألوهيتها، ولذا أعلن نبي الله إبراهيم – عليه السلام- قراره النهائي لقومه ببطلان عبادة هذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله، ونفي صفات الألوهية عنها، فهي تخضع لقوانين الطبيعة من خلال ظهورها فنرة وأفولها فنرة أخرى، وأنها بأفولها تنقطع صلتها بالكائنات، وهذا مناف لكونها آلهة, بالإضافة أن في تحركها دلالة على حدوثها.

إذن يمكن القول أن جمال هذا اللون البديعي "المذهب الكلامي" جمال الإدعاء الذي ينصره الدليل ،وتأثيرات هذا اللون البديعي فيما يحدثه لدى المتلقي من إنفعالات في نفسة قوية واضحة ،وإذا كان استخدامه في الشعر يزيده جمالا وروعة ،لأنه يجمع بين عنصري التخيل الذي يقوم عليه الشعر والإقناع والتأثير الذي تتطلبه الخطابة والنثر. فما بالك بالقرآن حين أُشرك العقل والإحساس والعواطف والوجدان في الخطاب أو الحجاج ومن ثم فلم يأت المذهب الكلامي فيه على الطريقة النطقية

الجافة. بل ساق الحقيقة نابضة حية لا يحير في تمثيلها عقل ولا تجمد في الإحساس بها عاطفة، ولا يتبلد شعور.

اقرأ قوله تعالى: : يأيُها النّاس إن كنتم في ريبٍ مِنَ البعثِ فإنّا خلقناكم مِن تُراب ثم من نُطفةٍ ثّمّ مِن علَقَةٍ ثُمّ مِن مُضغةٍ مُخَلّقَةٍ وغيرِ مُخَلّقَةٍ لِنُبين لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مُسمّى ثم نُخرِجُكم طِفلاً ثم لِتَبلُغُوا أشُدّكم ومنكم مَن يُتوفّى ومنكم مضن يُرَدُّ إلى أرذلِ العُمُرِ لِكيلا يَعلمَ مِن بعد عِلمٍ شيئا وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزت وَرَبَتْ وأنْبَتَتْ من كلِ زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يُحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير" الحج ٥

أي حجاج هذا وأي حجة وبرهان ودليل على قضية البعث بعد الموت التي يريد القرآن أن يدحض انكارها لدى المنكرين أليست هذه حجج وبراهين وأدلة مقنعة على دحض وبطلان وإبطال دعوى الخصم.

هذا ويكتفي البحث بهذه الأدلة على وجود هذا اللون البديعي البياني في القرن الكريم ويشرع في زيادة من خلال تناوله لهذا الفن من خلال المثل القرآني .

المحور الثالث : الجانب التطبيقي المذهب الكلامي والبعد الحجاجي في المثل القرآني

وللبحث سؤال يطرحه لماذا التمثيل أو الأمثله القرآنية؟.

يقول العلامة أبو السعود في تفسيره: ".. والتمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامح الأبي، كيف لا؟ وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف".

ويقول الزمخشري: "التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان صغيرا كان المتمثل به كذلك".

وقال الأصبهاني في المفردات: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثال والنظائر شيء ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق تريك به المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامح الأبي فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه..

وقال ابن المقفع: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسامع، وأوسع لشعوب الحديث.."

وقال إبراهيم النظام:

"يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة".

وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة:"واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة ،وكسبها منقبة ورفع من أقدارها ،وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها،ودعا القلوب إليها واستثار لها أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ،وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ،فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ،وأمثل في النفوس،وأهز للعطف وأسرع للإلف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح وأقضى له بغر المواهب والمنائح وأسير الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر

إذن فالتمثيل أو "الأمثال "طريقة كلامية حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما،وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدا، ومن ثمة اعتبر عاملا أساسيا في عملية الإبداع يستعمل في الحجاج "فهو قريب من الحجاج المقارني" دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري، حيث لا يطرح معادلة صورية خالصة، ولكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام الفكرة، أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير، جريا على مبدأ الاستعارة.. .

وينقل د عبد الله صوله عن "بيرلمان " و" تيتيكاه" في مؤلفهما: "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة"؛ أن للتمثيل دورا مهما في الإبداع وفي الحجاج على حد سواء ومرد ذلك أساسا إلى ما يتيحه من امتداد وتوسع إذ بواسطة الحامل يمكن للتمثيل أن يوضح بنية الموضوع وأن يضعه في إطار مفهومي ، لكن التمثيل في مجال الإبداع يتلف عنه في مجال البرهنة والحجاج من حيث اتساع مدى هذا التمثيل أو عدم اتساعه. ففي حين لا شئ يمنع من أن يطول التمثيل ويمتد في مجال الإبداع يطلب من التمثيل في مجال الحجاج أن يلتزم بحد معين وإلا فقد طاقته الإقناعية ،وإن إطالة التمثيل تكون أحيانا لغاية أن تثبت صحته، لكن تلك الإطالة قد تجعله عرضة لتجريح المخاطب

ويعد "طه عبد الرحمن"التمثيل نوعا من أنواع الحجاج تحت مسمى : "الحجاج التقويمي " وهو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد

من نفسه ذاتا ينزلها منزلة المعترض على دعواه فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر إلى إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط

بل يتعدى ذلك الظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته

أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب . وهكذا، فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، ومراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية ،حتى كأنه

عين المستدل له في الاعتراض على نفسه .

فهو حجاج ليس في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول - في رأي "بيرلمان " - ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والاصغاء إليها ،ثم محاولة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم ،فاذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فان الحجاج يكون بلا غاية ولا تأثير أو الحوار من مقتضيات هذا التأثير أو الاقناع وهو يكون الحوار او النقاش إما صريحا عند اتخاذ مواقف علنية معينة أو ضمنيا عندما يجرد المتكلم "خطيبا أو كاتبا " من نفسه محاججا "محاورا" خاصا يتناول معه هموم المخاطبين ،ويساعده على تبيين هفوات الطرح ،وأماكن الضعف فيه ،كي لا يقع في بعض العيوب الخطابية أو الكتابية التي تدخل التناقض والتفكك إلى النصوص

إن التمثيل بصفة عامة يعتبر منبعا للإبداع والأفكار الجديدة، وأصلا لكل الصور التخيلية، ولما كان المثل يتميز بنوع من الغرابة، فقد استعير لفظ "المثل" في القرآن للحال، والصفة، والقصة، إذا كانت عجيبة الشأن ومن ثم نجد المثل في القرآن ثلاثة أنواع : الأمثال المصرحة، والأمثال الكامنة، والأمثال المرسلة. وهذه بعض الأمثلة

***قال تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ.

هذا مثل ضرب لكل من لم ينتفع بنور الإيمان في الدنيا وخرج منه بعدما عرفه وفارقه بعدما استضاء به فهاهو عرف وانكر وأقر وجحد فهو في ظلمات أصم وأعمى وأبكم كحال المنافق، ولما كان المقصود بالمذهب الكلامي هو أن يأتي المتكلم بحجة عقلية قاطعة لإثبات صحة ما يدعو إليه وإبطال دعوى خصمه على طريقة أهل الكلام, وبلاغة الأسلوب في هذه الحالة وقوة تأثيره يتناسب مع مدى قرب هذه البراهين من المنطق والعقل وكذلك البعد الحجاجي الذي يقوم على الحجة والبرهان جاء المثل القرآن بالحجة العقلية والبرهان المحسوس على بيان غرابة أمر المنافق وشذوذه وغموضه وخطورته إذ شبه الله تعالى حال المنافقين بحال قوم استوقدوا نارا لتكون لهم متاعا فتضئ لهم وينتفعون بهافلما أضاءت لهم وأبصروا وعرفوا أطفيأت وبقوا في ظلمات لا يبصرون وسدت عليهم أبواب الهداية مما يسمع بالأذن أو يرى بالعين أو يعقل بالقلب ،فهم في عذاب معنوي شديد ومن ثم عدل الله تعالى عن :ذهب الله بنورها "إلى "ذهب الله بنورهم " ليؤكد للمتلقي ذهاب خاصية الاشراق في النار وبقاء خاصية الاحراق "الممثلة في ضلالهم وتيههم"،وكذلك حال المنافق عرف الايمان فأضاء في قلبه نثم أعرض وجحد وأنكر فذهب االنفاق بنور ايمانهم ، وبقت حرارة الكفر تغلي في قلوبهم لتعذب بحرها وسمومها في الدنيا والآخرة

فهذه كلها حجج وبراهين على بيان خطورة النفاق وأثره السئ في حياة أصحابه ، ومن ثم يكون الردع والزجر قد أتى ثماره فأقنع المتلقي وأمتعه ليبتعد عن هذا المرض الخطير حين شبه حال خروج المنافقين من النور "الاسلام"بعدما أضاء لهم طريق الظلام "الكفر"بحال مسافر في الصحراء تائه في دروبها فاستوقد النار فأنارت له الطريق وعرف معالمه واهتدى ثم ذهب نورها وظل في ظلام تائه في حيرة لا يرجع ألى الرشاد والهداية .

إذن بالحجة والبرهان تبين للمتلقي أن من يدعي الإيمان بالله وكتبه ورسله قد طلب به أن توقد له نار يهتدي بها في الشبهات، ويستضيء بها في ظلمات الريب والمشكلات، ويبصر على ضوئها ما قد يهجم عليه من مفترسة الأهواء والشبهات، فلما أضاءت ما حوله بما أودعته من الهدى والرشاد، وكاد بالنظر فيها يمشي على هداية وسداد، هجمت عليه من نفسه ظلمة التقليد الخبيث، وعصب عينيه شيطان الغرور، فذهب عنه بذلك النور، وأطبق عليه جو الضلالة، بل طفئ فيه نور الفطرة، وتعطلت قوى الشعور بين يديه، فهو بمنزلة الأعمى الأصم، لا يبصر ولا يسمع.

ولكن لسائل أن يسأل ماهي القضية التي يريد المثل دحضها بالبرهان والدليل ؟

القضية التي يريد المثل دحضها هي حجة الادعاءات السابقة من قبل المنافقين كما بينتها الآيات القرآنية السابقة للمثل قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ *يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ* مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ *.

هذا ما اراد المثل القرآني دحضه لدى المنافقين ومن على شاكلتهم بالحجة والبرهان أنهم لم ينتفع بنور الايمان .

وكما أبطل الله حجة النفاق كذلك بالحجة والبرهان يبطل الله بطريق المثل عقيدة الكفر وزيفها، وعجز آلهتهم المعبودة والمزعومة بأدلة وبراهين وحجج واقعية ومحسوسة كخلق الذباب الحقير، ولو كانوا مجتمعين عليه، .

يقول الله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ[١] الحج: ٧٣.

وهذا التصوير للعجز عن خلق الذباب الحقير «يلقي في الحس ظلّ الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل دون أن يخلّ هذا بالحقيقة في التعبير» .

ويتدرّج تصوير عجزهم عن خلق هذه الذباب، في السياق القرآني، ويتفاعل التصوير مع التعبير في داخل السياق، لإيضاح هذه الحقيقة فهذه الآلهة عاجزة عن خلق الذباب وهي منفردة، كذلك وهي مجتمعة، ويترك للخيال أن يستحضر صورة الآلهة المزعومة، تجتمع على خلق ذباب حقير، وترتدّ عنه عاجزة ضعيفة، وهذا التصوير لها فيه منتهى التحقير والسخرية من هذه الآلهة الضعيفة العاجزة، ثم يمضي تصوير المثل لإبراز العجز في صورة أخرى، أكثر سخرية وإضحاكا وتحقيرا لهذه الآلهة، التي تعجز عن دفع الذباب عنها، أو في استرداد ما سلبها الذباب إياه، ويتابع الخيال هذه الحركة التخيلية للذباب، وهو يجتمع على هذه الآلهة

[١] الحج ٧٣

المزعومة، وهي لا تقوى على ردّه، وصورة الذباب المجتمع فوقها توحي بالتحقير من شأنها، كما أن تصوير الآلهة وهي تطارد الذباب لاسترداد ما سلب منها، حركة تخيلية، توحي بالسخرية من هذه الآلهة العاجزة الضعيفة في جميع الحالات.

ومما يؤكد حسن البلاغة في المذهب الكلامي هذا أو في البعد الحجاجي هنا هو الربط البديعي بين افتتاح السورة والمثل يقول ابن عاشور:" وفي افتتاح السورة ب " يا أيها الناس" وتنهيتها بمثل ذلك شبه بردّ العجز على الصدر . ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بَعده ، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصةِ للخطبة والحَوصلة للدرس

وكذلك شد انتباه المتلقي ب"تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين لمضمون الخبر ، لأنّ جعلهم الأصنام آلهة يقتضي إثباتهم الخلق إليها وقد نفي عنها الخلق في المستقبل لأنه أظهر في إقحام الذين ادعوا لها الإلهية لأنّ نفي أن تخلق في المستقبل يقتضي نفي ذلك في الماضي بالأحرى لأن الذي يفعل شيئاً يكون فعله من بعد أيسر عليه ." ،كما لجأ المثل إلى البرهان والحجة العلمية للاثبات العملي المادي على بطلان هذه الدعوى بجانب الحجج والبراهين اللغوية والبلاغية المتعددة ومنها :

وهكذا تتواصل الصور في داخل المثل الواحد، وتتفاعل في السياق، لإبراز الفكرة الأساسية، التي هي موضوع المثل والمتمثلة في ابطال ودحض عقيدة الكفر بادعاء المعبودين دون الله وبعد استكمال تصوير المثل جاء التعقيب بحكم عام يشمل الممثل والممثل له على السواء ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ وهذا التعقيب يعدّ الإطار العام لفكرة المثل وبيان فحواه.

ويواصل تصوير الأمثال رسم الملامح المميّزة لهذه المعبودات ، وكشف زيفها، وبطلان تصوراتها فهذه الآلهة المزعومة التي تعجز عن خلق الذباب الحقير، غير جديرة بالعبادة، وطلب الحماية منها، والذين يتوجّهون إليها بالعبادة، وطلب النصرة منها، يتعلقون بخيوط واهنة ضعيفة أوهن من خيوط العنكبوت ومن ثم جاء المثل الثاني مبرهنا على ذلك

قال الله تعالى :" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ "[٢]

[٢] العنكبوت

فهؤلاء الذين يتخذون من دون الله أولياء، طلبا للحماية والنصرة، أو لدفع الضر عنهم، هم أشبه بالعناكب، التي تنسج خيوطها الواهنة الضعيفة لتحتمي بها، فهم في ضعفهم، كالعناكب في ضعفها، وهم في تصوراتهم وأوهامهم، كالعناكب في احتمائها ببيوتها الواهية الضعيفة، فالممثل به هنا ينطبق تماما على الممثل له. فالاحتماء ببيت العنكبوت ضرب من الأوهام، كما أن اتخاذ أولياء من دون الله وهم من الأوهام.

استدعى النظر والفكر وليقرتب من الحقيقة الغائبة عن الذهن أو التصور للواقع، أو لإظهار شيء غامض بشيء واضح والمثل المثار هو تشبيه الكافر بالعنكبوت وعمل الكافر بعمل العنكبوت وهو من التشبيه التمثيلي كما يقول البلاغيون فاتخاذ الكافر أندادا من دون الله التي لا تنفع ولا تضر يشبه بيت العنكبوت الذي يكون أضعف "أوهن" ما يكون إذا تعرض للهدم من ريح أو إنسان أو شيء آخر ثم تختم الآية بقوله تعالي "لو كانوا يعلمون" إشارة إلى الشهود الحضاري للقرآن وأنه سوف يأتي يوم يعلم الكافر ضعف آلهته وأنها مخلوقة لا تنفع ولا تضر وسوف يأتي يوم نعلم حقيقة واقع المشبه به وهو بيت العنكبوت وكأنه إقرار لحقيقة الإعجاز العلمي في الآية.

والوهن في المثل إما أن يكون حقيقيا وهو وهن البيت وليس الخيوط وإما أن يكون معنويًّا وهو أن بيت العنكبوت سرعان ما ينتهي ،لأنه إما أن يكون خاليًّا من المودة والمحبة أو ينتهي بالقتل والهلاك ، وهذا كله ينطبق على حالة الكفار والمعتدين وحالة عملهم واتخاذهم الأنداد من دون الله فكما يقول الله تعالى "وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا" والنهاية المأساوية أكيدة.

وبعد استكمال التصوير للمثل، عقب عليه بقوله: لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ جريا على طريقة تصوير الأمثال القرآنية في ترك المثل بعد استكمال تصويره، والعودة لإبراز الفكرة الدينية الأساسية التي هي مغزى المثل وفحواه. وهنا عاد إلى الممثل، أي المشبه لتوضيح بطلان تصورات الذين يتخذون من دون الله أولياء، ثم يستمر التعبير القرآني بعد التعقيب على المثل بتوضيح الفكرة الدينية، والإلحاح عليها، لأنها المغزى أو الهدف من تصوير هذا المثل، وضربه للناس. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالله يعلم أنّ ما يتخذونه من دونه من أولياء، لا تأثير لهم في الناس ولا في الحياة والذين لا يدركون هذا المغزى من تصوير المثل، لا يعقلون ولا يعلمون الحقائق من وراء تصوير الأمثال: وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ."

إنها صورة كلامية أو حجاجية عجيبة تلح على الحس و الوجدان ، و تجتذب إليها الالتفات ، وتسترعي الانتباه ، و تسترق الأسماع و تبهر الألباب و تستولي على

الأحاسيس و المشاعر ، و يقف أمامها متلقي الكلام حيران يتساءل كيف نظمت هذه الصورة ؟ و كيف تكونت ؟ ثم لا يجد من يجيبه على تساؤلاته ، لأن البشر مهما أوتوا من البراعة و البيان لا يمكنهم الوصول إلى معرفة سر نظم القرآن .

إذ شبه القرآن الكريم حال هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أندادا في لجوئهم و احتمائهم بهؤلاء الأنداد الضعفاء المتناهين في الضعف بحال العنكبوت حينما تأوي إلى بيتها الضعيف الواهن و تحتمي به.

إنها تصوير لهؤلاء العباد الغافلين بصورة العناكب الضئيلة الواهنة ، و تصوير هؤلاء الضعفاء العاجزين بصورة بيت العنكبوت الذي يضرب به المثل في الضعف و الوهن .

و لينظر المتلقي و ليتأمل في الكلمات التي اختيرت للمشبه به و نظمت منها صورته: كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً هل في مقدوره أو في مقدور أي بليغ مهما كان حظه من الفصاحة الكلامية والحجاجية البيانية ، و مهما كان يحفظ من مفردات اللغة العربية أن يأتي بألفاظ تسد مسد هذه الألفاظ التي نظمت منها صورة المشبه به ؟ إن أحداً من البشر لن يستطيع ، واللغة العربية على اتساع مفرداتها ليس فيها ما يسد مسد هذه الألفاظ .إنها الصياغة الإلهية يقف البشر أمامها عاجزين حيارى مذهولين .

ارجع بصر البلاغة كرة ثانية تجد هدفا ومغزى باطنا خفيا يريد الله – تعالى- تشخيصه يتمثل في سوء العلاقة بين الأولياء المتخذين من دون الله أولياء ومن اتخذهم كالعلاقة بين أسرة العنكبوت في بيت العنكبوت فبين الذكر بالأنثى علاقة سيئة جداً، علاقة الأنثى بأولادها سيئة جداً، تأكل أولادها، وقد تعتدي الأنثى على الذكر، أي لا يوجد أية علاقة طيبة ضمن هذه الأسرة، إذاً هذا البيت ضعيف.﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

وهذا مثل لوصف المؤمنين قال تعالى : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً الفتح: ٢٩.

القضية الكلامية أو الحجاجية هي بيان صفة من يقول بمعية الله ورسوله ويدعي حبه للرسول – ﷺ – ، ومن ثم فتصوير المثل هنا يهدف إلى مدح أصحاب رسول الله – ﷺ - ودور الرسول في تربيتهم، تربية روحية وسلوكية معا، وقد جسّدت هذه التربية النموذجية، بذكر أوصافهم في التوراة، دون الاعتماد على التشبيه، حتى لا

يوحي التشبيه بمجرد المشابهة بين طرفيه، وإنما الصورة هنا توحي بحقيقتهم، وواقعهم العملي كما هو.

وتتقابل الصفتان الشدّة والرحمة في شخصية المسلم، صفة الشدّة على الكفّار، والرحمة واللين بين المؤمنين، بالإضافة إلى السمة الأساسية وهي العبادة لله، والركوع والسجود له دون سواه.

ويركّز التصوير في المثل على الصفات الحسية والمعنوية التي يتحلّى بها الصحابة، فسمات العبادة والإيمان واضحة في قسمات الوجوه والنواصي، وصفات الخير مجسّدة في سلوك عملي ظاهر، لأن النفس الصافية، يظهر أثرها في نقاء الشكل ووضاءته أيضا:

سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ فالعلاقة بين الظاهر والباطن قويّة واضحة، فلا يمكن أن نفصل بين باطن الإنسان وظاهره، أو بين سلوكه وعقيدته، فالسلوك الظاهر، يدلّ على جوهر الإنسان ومعدنه.

وهكذا تتفاعل الصفات الحسية والمعنوية في تصوير المثل، وتترابط فيما بينها للإيحاء بهذا المعنى الذي يعدّ من قواعد الدين الأساسية.

أما مثلهم في الإنجيل فجاء معتمدا على تشبيه الصحابة بالزرع النامي بسرعة عجيبة، وتهدف هذه الصورة إلى إبراز التفاف الصحابة حول الرسول صلى الله عليه وسلم، ومؤازرتهم له ومناصرتهم لدعوته، حتى قوي الإسلام، واشتد عوده، وتكاثرت الأمة الإسلامية، ونمت وترعرعت في كيان موحد، كالزرع الذي أخرج شطأه، فنمت أعواده الصغيرة على جانبيه، وتكاثرت وتآزرت حتى قوي الزرع، واستوى قائما شديدا. وصورة الزرع الحسية بمراحل نموه، تشبه صورة المؤمنين، ومراحل نموّهم من الضعف إلى القوة، ومن القلّة إلى الكثرة، حتى أصبح لهم وجود قوي يتحدّى الرياح والعواصف، وهذا الوجود القوي يعجب الزرّاع الذين أسهموا في نموه ورعايته وحراسته ويغيظ الكفّار الذين لا يريدون أن يصبح للإسلام كيان قوي.

يقول الألوسي : "وهو مثل ضربه سبحانه وتعالى للصحابة رضي الله عنهم قلوا في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، فترقى أمرهم يوماً فيوما بحيث أعجب الناس

ويقول الزمخشري في تفسيره: «وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام، وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأن النبي ﷺ قام وحده، ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها، ممّا يتولد منها حتى يعجب الزرّاع»

وبعد استكمال عناصر تصوير المثل، واستحضار صورة الممثل له في الذهن، حتى أصبح المثل مطابقا للممثل له، جاء التعقيب على هذا التصوير بقوله لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وكأن هذا التعقيب هو بمثابة توضيح الغرض من تصوير المثل، وهذه هي الطريقة المتبعة في تصوير الأمثال القرآنية فبعد تصوير المثل والانتهاء منه، يعود التعبير القرآني إلى الممثل له، ويتابع الكلام عنه، ويترك صورة المثل لتبرز القضايا الأساسية من تصويره

إنه تمثيل عجيب، وتصوير فني بديع، يستمد عناصره من الطبيعة فيصل إلى نهاية الإبداع وقوة التأثير إنه يجعلك كأنك أمام مشهد يفيض بالحركة والحياة يجعل الغائب مشاهدا والخفي واضحا جليا، ويقرب المراد من العقل ويرفع الأستار عن الحقائق، ويعرض المعنى في أسلوب مشوق موح مؤثر.

إلا أن المثل بطرقته الكلامية وبراهينه وأدلته الحجاجية يرمي لمغزى بلاغي أبعد يتمثل في لفت انتباه وفكر المتلقي للمقارنة بين حال الامة في معيتها الصحيحة والصادقة في بداية الإسلام والى أين انتهت بهم هذه المعية مع قلتهم وبين معيتنا اليوم مع كثرتنا أين انتهت بالأمة ؟

قال تعالى : يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميت ويُخرِجُ المَيتَ مِنَ الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرجون".

فقد بيّن الله ـ سبحانه ـ في هذا المثل قدرته تعالى على إخراج الكائن الحي ممن لا حياة فيه ، كإخراج النبات والثمر من البذرة ، وإخراج الفرخ من البيضة ، وكذلك العكس ، كما بيّن قدرته على إحياء الأرض وإنباتها ، بعد أن كانت جرداء لا حياة فيها ، وبعد هذه المقدمات والأدلة والبراهين وابطال حجة من يزعم غير ذلك جاء القرآن بما أراد إثباته وهو البعث ، فقال:- " كذلك تخرجون"، فمن يستطيع أن يبعث الحياة في ما لا حياة فيه أصلا والعكس قادر على إعادة الحياة إلى الأموات.

وكذلك قوله تعالى يا أيُها النّاس إن كنتم في ريبٍ مِنَ البعثِ فإنّا خلقناكم مِن تُراب ثم من نُطفةٍ ثّمّ مِن علَقَةٍ ثُمّ مِن مُضغةٍ مُخَلّقَةٍ وغيرِ مُخَلّقةٍ لِنُبين لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مُسمّى ثم نُخرِجُكم طِفلا ثم لِتَبلُغُوا أشُدّكم ومنكم مَن يُتوفّى ومنكم مضن يُرَدُّ إلى أرذلِ العُمُرِ لِكيلا يَعلمَ مِن بعد عِلمٍ شيئا وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزت وَرَبَتْ وأنْبَتَتْ من كلِ زوج بهيج ذلك بأن اللهَ هو الحق وأنه يُحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير"ا

جاء ببيان قدرته تعالى على الخلق، ثم إحياء الأرض كدليل على إحياء الموتى .وقد استخدم هذا المذهب الكلامي ؛ لأنه يعتمد على المنطق، والحجة في الإقناع.

وكذلك قوله تعالى : منه قوله تعالى : ﴿ومن آياتِهِ أنّكَ ترى الأرضَ خاشعةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزتْ وربتْ إنَّ الذي أحياها لَمُحي الموتى إنه على كلِ شيءٍ قدير"

ضُرب المثل لإحياء الموتى بالأرض، لذا فقد استخدم المذهب الكلامي ،بجانب ألوان أخرى كالاستطراد والطباق ، وغيرها من المحسنات وقد جاء بمثل لبيان قدرته ـ سبحانه ـ على الإحياء، وهو إحياء الأرض، فمن يستطيع إحياء الأرض القاحلة الميتة قادر على إعادة الحياة للموتى الذين كانوا في السابق أحياء، فالإعادة أهون من النشأة الأولى . فأتى بمقدمات ، ومسلّمات ليصل بها إلى المطلوب ، وهو بيان قدرته على بعث الحياة بعد الموت.

إذن فقد ذكر ـ سبحانه ـ قدرته على إحياء الأرض الميتة، ثم بيّن وأكد قدرته على إحياء الموتى ، فجاء بمعنى ومثل مُشاهد ؛ ليؤكد على معنى وقضية يُنكرها المنكرون ، وهي قضية البعث.

وأخيرا خوفا من الاطالة نتأمل هذا النموذج الكلامي الحجاجي العقلي بالحجة والبرهان في قضيتي البعث والتوحيد أو ادّعاء شركاء لله تعالى من مال أو ولد أو أحجار ، فقضية (البعث بعد الموت) ينكرها مشركو مكة : " ويقول الإنسان أإذا ما مِتُ لسوف أُخرجُ حيّاً"مريم ٦٦) في صيغة سؤال إنكاري . فيرد الله على هذا الادعاء ببينة عقلية وبراهين منطقية بأن البعث مؤكد بقدرة الله الذي خلق هذا الإنسان أول مرة ، ولم يكن شيئاً يذكر ، ومن باب أولى أن يقدر على خلقه أو إعادة الحياة إليه مرة أخرى :" أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبلُ ولم يكُ شيئاً" مريم ٦٧) ؛ لأن من خلق الإنسان من عدم ، كخلق يحيى من أبٍ مسنٍ وأمٍ عاقر ، وخلق المسيح من غير أبٍ ، لهو قادر على أن يبعث الميت حيّاً .

إلى هنا انتهت القضية عقلياً ، ويمكن أن نطوي الصفحة للانتقال إلى قضية أخرى ، لكن القرآن الكريم الذي لا يحرص على الغلبة للغلبة ، بل على الوصول إلى الإيمان والاطمئنان العميقين بالحجة والبرهان ، يعالج المتسائلين أو المعاندين بمخاطبة وجدانهم وقلوبهم ونفوسهم ترغيباً وترهيباً ، بقدر ما يخاطب عقولهم وقناعاتهم ، ومن هذا الباب لم يصرح باسم السائل المتشكك أولاً ، وعمم السؤال على "جنس" الإنسان ، لأنه سؤال يتكرر في أزمنة وأمكنة أخرى ثانياً ، وأضاف إلى البينة تهديداً لمن يصرّ على دعواه الباطلة بالعذاب الشديد :"فوربِّكَ لنحشرنَّهم والشياطين ، ثم لنُحضِرنهم حول جهنّم جِثيّاً . ثم لننزِعَنَّ من كلّ شيعةٍ أيهم أشدُّ على الرحمنِ عتيّاً . ثم لنحنُ أعلم بالذين هم أولى بها صِليّاً) (مريم ٦٨-٧٠) ، لأن الإنسان الذي لا يقتنع بالحجة والمنطق يعالج بالتخويف من سوء المصير والإصرار على الزيغ والضلال .

وهنا تستيقظ ذاكرتنا بالمناسبة ، لتستعيد الحديث عن الأدلة والحجج والبراهين بالولادات العجيبة التي عمرت بها القصص في سورة مريم مثلا: كولادة النبي "يحيى" ، وولادة النبي "عيسى" ، وهي ولادات غير مألوفة في العرف البشري ، تذكر بقدرة الله تعالى في الخلق من عدم ، تلك القدرة التي عبر عنها كثيراً ، مثل القول : " خلقتك من قبلُ ولم تكُ شيئاً "و" إنّا خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً " مرتين " مريم ٩ و ٦٧" ، وقوله تعالى لنبيه يحيى لما استغرب أن يرزق بولد مع شيخوخته وعقم زوجه :" قال: كذلكَ قال ربكَ : هو عليَّ هيّنٌ.. " "مريم ٩ أو قول جبريل عن الله تعالى لمريم لما تعجبت من إمكان حملها ولم يمسسها بشر : " قال : كذلِكِ قال ربكِ : هو عليَّ هيّنٌ .." مريم الآية ٢١ .

أما دعاوى الشرك بالله المنافي لقضية الوحدانية فيعرض لها البحث في قوله تعالى ::" قال الذين كفروا للذين آمنوا : أي الفريقين خيرٌ مُقاماً ، وأحسنُ نديّاً " مريم ٧٣ .

لم يذكرهم الله تعالى بأنه هو الذي وهبهم الأولاد والجاه والأنصار والأعوان ، فلا حجة لهم في هذه الدعوى ، وإن جاءت في مواضع أخرى ؛ بل انتقل إلى قدرته على الذهاب بهم ، وبما استقووا به ، مثلما ذهب بمن سبقهم من الأمم ، على الرغم من تمتعهم بما هو أحسن منهم منظراً وعدداً وقوة :" وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ ، هم أحسن أثاثاً ورئياً "مريم ٧٤ فجمع بذلك الحجة العقلية والترهيب النفسي .

وقوله تعالى :" أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال : لأوتَيَنَّ مالاً وولداً "مريم٧٧ فهنا شرك بالله باستقواء الكافر بالمال والولد من دون الله صراحة، فجاءه الجواب يدفع دعواه الباطلة بحجتين عقليتين : الأولى جهله بالغيب إن كان سيرزق بولد ومال أم لا . والثانية نفي أن يكون وعده الله الخالق بأن يرزق ولداً أو مالاً :أطَّلَعَ الغيبَ ، أم اتخذ عند الرحمانِ عهداً مريم

وهنا يثير القرآن برهانا آخر وحجة عقلية في ذاكرة المتلقي وعد الله تعالى لنبيه زكريا بالولد ، وبقضائه للسيدة مريم بالحمل ، وبهبته لنبيه موسى بأخ نبي هو هارون ، للدلالة على أنه هو الذي يهب المال والبنين ، كما هو وحده الذي يهب الحياة ويسلبها من عباده ومخلوقاته .

وقوله تعالى : وقالوا اتخذ الرحمانُ ولداً .[٣] نوع آخر للشرك إذ ادعى المشركون صراحة بأن لله تعالى ولداً.

[٣] مريم ٨٨

فكان الجواب الحجاجي العقلي المنطقي مخالفة الدعوى للفطرة السليمة ولناموس الكون لدرجة، أن السماوات تكاد تتفطر من فظاعتها ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال منهدة ؛ لأن اتخاذ الولد يناقض كمال الألوهية التي لا تحتاج لمن يكملها من ولد أو سواه من عبيده :

" لقد جئتم شيئاً إدّاً . تكاد السماواتُ يتفطرنَ منه وتنشقُّ الأرضُ ، وتخرُّ الجبالُ هدّاً . أن دعَوا للرحمانِ ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذَ ولداً . إن كلّ من في السماواتِ والأرض إلا أتي الرحمنِ عبداً" [٤] .

برهان تصويري مرئي تشخيصي ممثلا في تصوير ارتجاف السماوات والأرض وانهداد الجبال على صحته ، ليوظف في التأثير العاطفي النفسي من باب تفظيع الدعوى ، والترهيب لقائليها ، فكيف إذا أضيفت إليها زواجر أخرى : لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً . وكلّهم آتيهِ يومَ القيامةِ فرداً[٥] .

وإتيان البشر يوم القيامة إلى الله تعالى فرادى يذكرنا أيضا ببطلان استقواء من استقوى بالولد والأعوان من مقام رفيع أو نديٍّ حسن من دون الله .

ومع الترهيب يأتي الحجاج بالترغيب ليحرك الوجدان ، فما يترك للنفس البشرية الصالحة من مناص للاقتناع والاستجابة ، إما بالعقل وإما بالترهيب وإما بالترغيب:

إن الذين أمنوا وعملوا الصالحاتِ سيجعل لهمُ الرحمانُ وُدّاً . فإنما يسَّرناهُ بلسانِكَ لِتُبَشِّرَ به المُتَّقينَ ، وتُنذِرَ بهِ قوماً لُدّاً [٦]

هكذا يجمع القرآن الكريم بين المذهب الكلامي والبعد الحجاجي في قضيتي البعث والتوحيد فيقدم الحجة والدليل والبرهان المعنوي والمادي ؛بل والتصويري لدحض حجج وبراهين من أنكر البعث بعد الموت ومن ثم الحساب والجزاء وكذلك إدعاء الشريك لله من مال وولد وحجر وإنسان وغير ذلك بابطال الحجج بالبراهين العقلية الساطعة والمقنعة .

الخاتمة

[٤] مريم ٨٩-٩٢
[٥] مريم ٩٤-٩٥
[٦] مريم ٩٦-٩٧

في ختام هذه القراءة البلاغية التي جمعت بين القديم " للتراث"والحديث "البلاغة الحجاجية توصلت القراءة غلى عدة نتائج أهمها:

١- المقصود بالمذهب الكلامي هو أن يأتي المتكلم بحجة عقلية قاطعة لإثبات صحة ما يدعو إليه وإبطال دعوى خصمه على طريقة أهل الكلام, وبلاغة الأسلوب في هذه الحالة وقوة تأثيره يتناسب مع مدى قرب هذه البراهين من المنطق والعقل.

٢- البعد الحجاجي يقوم على الحجة والبرهان لإبطال دعوى الخصم.

٣- اعتمد البعد الحجاجي في البلاغة الحديثة على البرهان والحجة العقلية أيضا

٤- يكمن جمال المذهب الكلامي في جمال الإدعاء الذي ينصره الدليل ،وتأثرات هذا اللون البديعي في إحداث الانفعالات في النفوس قوية واضحة واستخدامه في الشعر يزيده جمالا وروعه ،لأنه يجمع بين التخيل الذي يقوم عليه الشعر والاقناع والتأثير الذي تتطلبه الخطابه والنثر.

أهم المراجع

الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تح : محمد أبو الفضل إبراهيم .الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٤ط ١٩٧٤ م.

استراتيجيات الخطاب الديداليتكي محمد مكس منشورات رمسيس الرباط ١٩٩٨م.

أسرار البلاغة فى علم البيان عبد القاهر ص١٢٩ط وزارة الثقافة ١٩٥٤م.

أسرار البلاغة فى علم البيان . عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني تح : عبد الحميد هنداوي نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط:١ ٢٠٠١ م.

الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة محمد بن علي الجرجاني تح: عبد القادر حسين نشر مكتبة الآداب ١٩٧٧م.

الإعجاز القرآني في الذباب، للشيخ محمد الحكمي، بتاريخ ١٥/ ٨/ ١٤٢٥، نقلاً عن موقع
http://weqa.hawaaworld.com/modules.php?name=News&file=article&sid

أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد على صدر الدين بن معصوم المدني ت ١١٢٠هـ تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، ١٩٦٩م.

الايضاح في علوم البلاغة للقزويني مكتبة الهلال بيروت ٢٠٠٠م .

البحر المحيط محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ط دار الفكر العربي بيروت ومعه النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان نفسه.

البديع عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي الناشر: دار الجيل الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

بديع القرآن لأبي الأصبع المصري ت٦٥٤هـ تحقيق د. حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٣٨٣ه .

بلاغة الخطاب محمد العمري ص ٦ افريقيا الشرق المغرب ٢٠٠٢م

البيان والتبيين للجاحظ تح درويش الجندي المكتبة العصرية صيدا بيروت ٢٠٠٥م.

"التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ط دار سحنون للنشر والتوزيع ط الدار تونس.

جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة . نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي تح: محمد زغلول سلام .نشر: منشأة المعارف . الاسكندرية.

الحجاج: د عبد الله صولة، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال" مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، من كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إنجاز: فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية منوبة، تونس.

الحوار ومنهجية التفكير حسان الباهي أفريقيا للشرق الدار البيضاء المغرب ٢٠٠٤م.

وخزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر ابن حجة الحموي ، مطبعة بولاق مصر ١٢٧٣.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ط ٤ دار إحياء التراث العربي بيروت.

الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت ٣٩٥ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة البابي الحلبي ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق تح عبد القادر أحمد عطا دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م.

عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ٢٠٠٦م.

في اللسانيات التداولية خليفة بوجادي ط بيت الحكمة العلمة الجزائر ٢٠٠٩م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل .محمود بن عمر الزمخشري ط دار الفكر بيروت.

اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط١، ط١٩٩٨م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد المحقق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة نشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى تح: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط ١.

المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين ص١٤٩-١٥٠ حوليات الجامعة التونسية ع ١٣سنة١٩٧٦م.

الميزان في تفسير القران محمد حسين الطباطبائي. صححه واشرف على طباعته: الشيخ حسين الاعلمي. نشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ط١ بيروت.

النقد المنهجي عند العرب د. محمد مندور نهضة مصر ط ١: ١٩٩٦م .